سورة الفاتحة
- دراسة لغوية بلاغية -

د. ساجدة عبدالكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي أنار قلوب عباده المتقين بنور كتابه المبين، وجعل القرآن شفاءاً لها في الصدور وهدى ورحمةً للمؤمنين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين محمد النبي العربي الأمين.

سيبقى القرآن الكريم بحراً زاخراً بأنواع العلوم والمعارف، يحتاج من يرغب الحصول على لآلئه ودرره أن يغوص في أعماقه، فهو الكتاب المعجز الذي سيظل يمنح الإنسانية من علومه ومعارفه وأسراره وقيمه ما يزيدها إيماناً وإيقاناً وتصديقاً بأنه المعجزة الخالدة للنبي العربي محمد (ﷺ).

ومن هنا جاء اختيارنا سورة الفاتحة، لأن الله تعالى يمجد نفسه المقدسة بما يرجع إلى كمال ذاته تعالى بما يظهر أفعاله سبحانه، فهو رب العوالم ورأحمها وعليها سلطانه، والسورة على إيجازها تجمع العقائد والعبادات والمعاملات والاجتماعيات والأخلاق، بما تجمل بياناتها من أصول التوحيد والنبوة وطلب الهداية[1].

فضلاً عن ذلك هي فاتحة القرآن وأم الكتاب ونذكرها في القيام والقعود، وعن الرسول (ﷺ) أنه قال لأبي كعب: ﴿ ألا أخبرك بسورةٍ لم ينزلْ في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها ؟﴾ قال: بلى يا رسول الله، فقال: ﴿ فاتحة الكتاب، أنها السبع المثالي، والقرآن العظيم الذي أوتيتم ﴾ [2]، كما قال (ﷺ): ﴿ إن القوم ليبعث الله عليهم حتماً مقضياً، فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب: (الحمد لله رب العالمين)، فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة ﴾ [3].

المطلب الأول

- بسم الله الرحمن الرحيم -

البسملة

إن البسملة تعبيراً يقصد به الفاعل إعلان تجرده من نسبة الفعل إليه، وأنه لولا من يعنون الفعل باسمه لما فعل، فهو له بأمره، فمعنى (افعل كذا) باسم فلانٍ إفعله معنوناً باسمه ولولاه لما فعلته [٤]. وهذا الاستعمال معروفاً مألوفاً في كل اللغات وأقر به اليوم إلى ما يرى في المحاكم النظامية، حيث يبتدئون الأحكام قولاً وكتابةً باسم السلطان أو الخديوي.

لقد اختلف العلماء والمفسرون في معنى زيادة (أسم) في " بسم الله الرحمن الرحيم" إذ قال قطرب (زيدت لأجل ذكره تعالى وتعظيمه)، أما الأخفش، فكان رأيه (ليخرج بذكرها من حكم القَسَم إلى قصد التبرك، لأن أصله (بالله). وقال الرازي ((الباء) في (بسم) هي للإلصاق، وهي متعلقة بفعل تقديره (بسم الله الله أشرع في أداء الطاعات) وهذا المعنى لا يصير مخلصاً معروفاً إلا بعد الوقف على أقسام الطاعات ويصل إلى عشرة آلاف مسألة) [٥]، وقيل (الباء) متعلقة بمحذوف تقديره (بسم الله إقرأ)، لأن الذي يتلوه مقروء، كذلك يُضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له، وكذلك قالت العرب في الدعاء للمعرس (بالرفاء والبنين) بمعنى بالوفاق وجمع الشمل ونعمة الله بالبنين [٦]، وقول الإعرابي باليُمن والبركة بمعنى: أعرست أو نكحت، ومنه قول الشاعر:

فقلتُ إلى الطعامِ فقال منهم فريقٌ نحسُد الأنس الطعاما [٧]

ومثل ذلك قوله تعالى: ((بسم الله مجراها)) وقوله: ((إياك نعبد)) لأنه أهم وأدل على الاختصاص وأدخل في التعظيم وأرفق للوجود، فإن اسمه – سبحانه – مقدم على القراءة، كيف لا وقد جعل آله لها من حيث أن الفعل لا يتم ولا يُعتدّ به شرعاً ما لم يصدر باسمه تعالى لقول الرسول محمد (ﷺ): (كُلّ أمرٍ ذي بالْ لا يبدأ فيهِ ببسمْ الله فهوَ أبترَ) [٨]، وقيل الباء للمصاحبة والمعنى (متبركاً باسم الله تعالى اقرأ) [٩]، وهذا وما بعده إلى آخر السورة مقول على

السُنْة العِباد –كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره – ليعلموا أسمه ويُحمد على نعمه ويُسأل من فضله، وإنما كُسِرت (بِ) ومن حق الحرف المفردة أن تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر، كما كُسِرَت لام الأمر ولام الإضافة للفصل بينهما وبين لام الابتداء، والاسم عند أصحابنا البصريين من الأسماء التي حذفت إعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت أوائلها على السكون وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لأن من دأبهم أن يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على أسماء وأسامي وسُمَيٌّ وسميت ومجيء سُمَىً لغةً؛ وإنما قال (بسم الله) ولم يقل (بالله) لأن التبرك والاستعانة بذكر أسمه وللفرق بين اليُمن والتيَمن ولم تكتب الألف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضاً عنها و (الله) أصله (إله) فحذفت الهمزة وعوضّ عنها الألف واللام، ولذلك قيل: يا الله، بالقطع [١٠].

أما الزمخشري، فقد أدلى بدلوه بأن إلهاً يُعدُّ أسم غير صفة، ألاَ تراكَ تصفه ولا تصف به، فلا نقول مثلاً (شيءٌ إلى) ولا نقول (شيءٌ رجل)، بل نقول (إلهٌ واحدٌ صمد)[١١].

وقيل أيضاً عَلَمَاً لذاته المخصوصة، لأنه يوصف به لابد من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولأنه لو كان وصفاً لم يكن قول لا إله إلا الله توحيداً مثل لا إله إلا الرحمن، فإنه لا يمنع الشرك، إلا ظهر إنه وصف في أصله لكنه لما غَلَبَ عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار له كالعَلَم مثل: الثريا، والصعق أجرى مجراه في إجراء الأوصاف عليه وامتناع الوصف به، لأن ذاته من حيث هو بلا اعتبار أمر آخر حقيقي أو غيره غير معقول للبشر، فلا يمكن أن يدل عليه بلفظ، ولأنه لو دلّ على مجرد ذاته المخصوصة لما أفاد ظاهر قوله سبحانه وتعالى:﴿ ۦهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [١٢] معنى صحيحاً، ولأن معنى الاشتقاق هو كون أحد اللفظين مشاركاً للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الأصول المذكورة، وقيل أصله (لاهاً) بالسريانية فعُرِّب بحذف الألف الأخيرة وإدخال اللام عليه وتفخيم لامه إذا انفتح ما قبله، وحذف ألفه لحنٌ تُفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين [١٣].

(الرحمن الرحيم) إسمان بنيا للمبالغة مثل غضبان وفرحان من غَضَبَ وفَرُحَ، والرحمة في اللغة رقة القلب وأسماء الله تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال. أما مسألة الفرق بين (الرحمن) و (الرحيم) فالأولى أبلغ من الثانية لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في

(قَطَعَ – قَطّع، كُبار – كُبّار) ولكن تارةً يؤخذ باعتبار الكمية وتارةً أخرى باعتبار الكيفية [١٤]، فعلى الأول قيل ((يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة)) وعلى الثاني قيل ((يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا)) ذلك لأن النِعم الأخروية كلها جسام، وأما النِعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وإنما قدم للقياس، والقياس يقتضي الترقي من المرتبة الأدنى إلى المرتبة الأعلى [١٥].

المطلب الثاني

الحمد لله

الحمد والمدح إخوان، وهو الثناء على الجميل الاختياري من نعمه، والمدح هو الثناء على الجميل مطلقاً ونقيضه الذم وليس مقلوب مدح خلافاً لابن الأنباري، إذ هما في التصريفات متساويان، وقد يتعلق المدح بالجماد فتمدح جوهرة ولا يقال تُحمد، والحمد والشكر بمعنى واحد لكن الحمد أعمّ، والشكر ثناء على الله تعالى بأفعاله أما الحمد ثناء بأوصافه، فالحامد قسمان شاكر ومثن بالصفات [١٦]، مثل ذلك استشهاد الزمخشري بالبيت الشعري القائل:

أفادتكم النعماءُ منيّ ثلاثةً يدي ولساني والضمير المحجبّا[١٧]

يُلاحظ إن (الحمد) رفعهُ بالابتداء وخبرهُ الظرف الذي هو (لله) وأصله النصب وقد قُرئ بإضمار فعله وإنما عدل عنه إلى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له وهو من المصادر التي تنصب بأفعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس، فالحمد في الحقيقة كُلُه له، وقُرئ (الحمد لله) بإتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلاً لهما من حيث إنهما يستعملان معاً منزلة كلمةٍ واحدة [١٨].

أما من الناحية اللغوية – فقد اختلف العلماء أيهما أفضل، قول العبد ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ أو قول ﴿لا إله إلاّ الله﴾؟ فقيل: الأولى أفضل لأن في ضمنه التوحيد الذي هو لا إله إلاّ الله، ففيه توحيد وحمد، وفي الثانية توحيد فقط، وقيل الثانية أفضل لأنها تدفع الكفر

والإشراك وعيها يقاتل الخلق فقال الرسول محمد (ﷺ): (أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله)[١٩].

والحمد يعني الثناء والألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد، فهو سبحانه يستحق الحمد إذ له الأسماء الحسنى والصفات العُلا. وقد جمع (الحمد) جمع القلة في قول الشاعر:

وأبلج محمودِ الثناءِ خَصَصتُه بأفضلِ أقوالي وأفضَلِ أحمُدي

والتحميد أبلغ من الحمد، والحمد أعمّ من الشكر، وكلمة (حمد = ح + م + د) فالحاء وحدانية، والميم مُلك، والدال ديمومة [٢٠].

إذن كل هذه المعاني التي تحملها لفظة الحمد لتبيان معاني الربوبية. أما ("الله" الملا فيه للمُلك وشبهه وللتمليك وشبهه، وللاستحقاق وللنسب وللتعليل وللتبليغ وللتعجب وللتبيين وللصيرورة وللظرفية بمعنى (في) أو (عند) أو (بعد) وللانتهاء والاستعلاء، مثل: ﴿ جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾، أدوم لك ما تدوم لي، وهبت لكَ ديناراً، ذلك المال لزيدٍ، الجلباب للجارية)[٢١].

وقيل أن آية ﴿ الحمد لله ب العالمين ﴾إشارة إلى علم الأصول، لأن الدال على وجوده وجود مخلوقاته [٢٢]، وهذا يتأكد لنا من خلال الموقع الإعرابي، لأن (الحمد) مبتدأ مرفوع و (لله) لفظ الجلالة خبر للمبتدأ [٢٣].

المطلب الثالث

ربّ العالمين

(الرب) هو المالك ومنه قول صفوان [٢٤] لأبي سفيان: (لأنْ يربَّني رجلٌ مِنْ قريش أحبُّ إليَّ من أنْ يربَّني رجلٌ مِنْ هَوازن)، ويجوز كونه وصف بالمصدر للمبالغة كما وصفه بالعدل. وتقول ربه يربه ربا فهو رب، ولم يطلقوا الرب إلاّ في الله وحده وهو في العبيد مع التقييد [٢٥]. والرب (مصدر) بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء إلى كماله، شيئاً، فشيئاً، ثم وصف به للمبالغة وقيل هو (نعت) من ربه يربه فهو ربّ فسميّ به المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه. و (العالم) اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب وجمع العالمين بالياء والنون ليشمله ما تحته من الأجناس المختلفة كسائر أوصافهم. وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقُرئ " ربّ العالمين " بالنصب على المدح أو النداء أو بالفعل الذي دلّ عليه الحمد [٢٦].

و " العالم" لا مفرد له كالأنام، اسم جمع واشتقاقه من العلم أو العلامة والمختار أنه كل مصنوع وجمع لاختلاف أنواع المصنوعات بالواو والياء على جهة الشذوذ، و (رب والرحمن والرحيم) صفات مدح لأن ما قبله علم لم يعرض بالتسمية فيه اشتراك فيتخصص، وبدئ بالرب لأن له التصرف في المملوك والعابد بما أراد من خير أو شر – وقُرئ بالنصب – وحكى في قراءة زيد بن علي أنه قرأ " ربّ العالمين الرحمن الرحيم " بنصب الثلاثة فلا ضعف إذ ذاك وإنما تضعف قراءة نصب (رب) [٢٧]. وخفض الصفات بعدها لأنهم نصبوا على أنه لا إتباع بعد القطع في النعوت لكن تخريجها على أن يكون (الرحمن) بدلاً ولاسيما على مذهب الأعلم،إذ لا يجيز في (الرحمن) أن يكون صفة وحسن ذلك على مذهب غيره كونه وصفاً خاصاً وكون البدل على نية تكرير العامل، فكأنه مستأنف من جملة أخرى فحسن النصب، وقول من زعم نصب (ربّ) بفعلٍ دلَّ عليه الكلام قبله، كأنه قيل (نحمد الله رب العالمين)، – هذا القول – ضعيف، لأنه مراعاة التوهم وهو من خصائص العطف، ومن زعم إنه نصبه على البدل فضعيفٌ أيضاً للفصل بقوله (الرحمن الرحيم) وربّ ومصدر ووصف به على أحد وجوه الوصف بالمصدر أو اسم الفاعل حذفت ألفه فأصله (رابَ)[٢٨]، ويظهر ذلك فهو لا منصوب بفعلٍ دلَّ عليه ولا منصوب على البدل بل (ربّ) مصدر.

المطلب الرابع

الرحمن الرحيم

وتعني (الذي سعت رحمته كل شيء وعمَّ فضله جميع الأنام، بما أنعم على عباده من الخلق والرزق والهداية إلى سعادة الدارين)[٢٩].

وسنوجز آراء بعض العلماء في مسألتي اللغة والبلاغة معاً: (الرحيم) أما صيغة مبالغة كما اعتبرها سيبويه أو صفة مشبهة مثل (مرض وسقم). فعندما نقول (الله رحمن) أوقعه في التركيب وجرده عن اللام ليستحق الإعراب ويظهر حكم الانصراف وعدمه [٣٠]. وهذا في قوله (الله رحمن) مجاز على عباده لأن الملك إذا عطف على رعيته ورقَّ لهم أصابهم بمعروفهِ وأنعامه؛ وأخَّر (الرحيم) للترقي، فإنه أبلغ من الرحمن فـ (فعيل – للأمور الغريزية كشريف) و (فعلان – للأمور العارضة كسكران وغضبان) وبعد ذكرها في البسملة وتقدمها، قيل في (الرحمن الرحيم) أنها تكررت للتعليل [٣١].

وللعلماء في (رحمن) قولين:

الأول: أنها منصرفة إلى صفة الذات.

الثاني: أنها منصرفة إلى صفة الفعل؛ وهو على رأي الأشعرية في الرحمة وأمثالها مما لا يصح إطلاقه باعتبار حقيقته اللغوية على (الله تعالى) فمنهم من صرفه إلى صفة ذات، ومنهم إلى صفة فعل[٣٢].

وفي (الرحمن الرحيم) جمع بين الترغيب والترهيب فيكون أعون على طاعته وأمنع. وفي مسألة الاختلاف هذه يتأكد إن (رحمن) منصرفة إلى صفة فعل لأنها لا تجوز كونها صفة، لاسيما وأن البيضاوي يعدُّ (رحمن) أبلغ. أما الزمخشري يعدّ (رحيم) هي الأبلغ، ويبدو أن الأخير هو الأصوب لأنه أخرّ (رحيم) للترقي وهنا تكمن بلاغة التعبير.

المطلب الخامس

مالك يوم الدين

وتعني هو سبحانه المالك للجزاء والحساب، المتصرف في يوم الدين تصرف المالك في ملكهَ ﴿وْيومَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّه﴾ (٣٣). (المالك) المتصرف بالأمر والنهي (مالكاً) بالنصب على المدح أو الحال، و (مالك) بالرفع منوناً ومضافاً على أنه خبر مبتدأ محذوف.

(يوم الدين) الجزاء وقيل الشريعة وقيل الطاعة (جزاء الدين)، وخصصّ اليوم بالإضافة إما لتعظيمه أو لتفرده تعالى بنفوذ الأمر فيه ويحتمل أن يكون المراد تفخيم المضاف إليه. أما مسألة وجه ارتكاب الاتساع وعدم جعل الإضافة بمعنى (في) ههنا ذلك إنه إذا اتسع وجعل اليوم مفعولاً به ليدل الكلام على أن الله تعالى مالك لجميع الأمور في اليوم المذكور بناءاً على أن تملّك الزمان يستلزم تملّك جميع ما في الزمان عرفاً (٣٤)؛ أي إذا جعل الإضافة بمعنى (في) يدل على أنه مالك في اليوم المذكور فقط ويصدق ذلك بأن يكون مالك لأمرٍ ما فيه.

إذن جعل من وجوه الاستلزام الاتساع للتفخيم لأنه يفيد تملّك جميع الأمور الكائنة فيه، فلا أحد يستحق الحمد على الحقيقة سواه، فإن ترتيب الحكم على الوصف يُشعر بعلّيته له والإشعار من طريق المفهوم على أن من لم يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لأن يُحمد، وبذلك يكون الوصف الأول لبيان ما هو المُوجِب للحمد، والوصف الثاني والثالث للدلالة على إنه متفضل بذلك الحمد مختار فيه ليس يصدر منه الإيجاب بالذات، أما الوصف الرابع جاء لتحقيق الاختصاص (٣٥).

أما بقوله سبحانه وتعالى " لِمنْ المَلكُ اليوُم " فهو مستغنيٌ عن الإضافة، لأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملك.

و (يوم الدين) يوم الجزاء، ويُقال: كما تُدين تُدان، مثل ذلك استشهاد الزمخشري ببيت الحماسة:

ولم يبقَ سوى العُدْوا ن دناهم كما دانوا (٣٦)

أما معنى (كما تُدين تُدان) أي كما تعمل تجزى، ألا ترى إنه أضاف اسم الفاعل على طريق الاتساع وخصص يوم الدين، ذلك لأن الأمر فيه لله وحده، إنما ساغ وقوعه صفة للمعرفة مع أن إضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقية لأنه أريد به الاستمرار، فكانت الإضافة حقيقية، كما تقول (مولى العبيد) فساغ أن يكون صفة للمعرفة، وهذا هو المعنى في﴿مَالِكَ يَومَ الدينْ﴾، ويجوز أن يكون المعنى: ملك الأمورَ يوم الدين كقوله﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ [٣٧]، وقوله سبحانه﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ﴾ [٣٨] والدليل عليه قراءة أبي حنيفة ﴿ مَلَكَ يومَ الدين﴾.

وهذه الأوصاف التي أجريت على الله سبحانه من كونه رباً مالكاً للعالمين، لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيتهِ، ومن كونه مُنعماً بالنعم كلها الظاهرة والباطنة الجلائل والدقائق ومن كونه مالكاً للأمر كله في الآخرة، وذلك بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في قوله ﴿الحمد لله﴾دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحداً أحقّ منه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله [٣٩].

وحكى أهل اللغة أمثال سيبويه والأخفش: دِنْتَهُ بفعله دِيناً دَيناً بفتح الدال وكسرها (جازيته)، وقيل (الدين) المصدر و (الدِين بكسر الاسم والدين السياسة والديان السايس، وقال ذو الأصبع: ولا أنت دياني فتحزوني، و (الدين) الحال، إذ قال النضر بن شميل: سألت إعرابياً عن شيءٍ فقال لو لقيتني على دين غير هذا لأخبرتك، و(الدين) الداء [٤٠]، وعن الحياني أنشد شاعراً:

(يا دين قلبك من سلمى وقد دينا) [٤١]

المطلب السادس

إياكَ نعبدُ وإياك نستعين

وتعني (نخصك يا الله بالعبادة ونخصك بطلب الإعانة، فلا نعبد أحداً سواك، وإياك ربنا نستعين على طاعتك ومرضاتك، فإنك المستحق لكل إجلال وتعظيم ولا يملك القدرة على عوننا أحد سواك) [٤٢].

أيّا – ضمير منفصل للمنصوب وما يلحقه من الباء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الإعراب، وقال الخليل: (أيا) مضاف إليها وأُحتجَّ بما حُكيَ (إذا بلغ الرجل الستين فإياه وأيّا الشواب) وهو شاذ [٤٣].

وقيل: (أيا) عمدة، فأنها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة، فضم إليها (أيا) لتستقل به (كرر الضمير "إياك" للتخصص إنه المستعان به لا غير، وقدم العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس الآيات ليعلم منه أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة، والواو للحال والمعنى " نعبدك مستعينين بك") [٤٤].

أما لو كان الضمير (إياه) للغائب، كيف سيكون الأمر ؟

فلو قيل (إياه نعبد وإياه نستعين) كما يقتضيه سياق الكلام بظاهره لم يكن فيه دلالة على أن العبادة له والاستعانة به، لأجل اتصافه بتلك الصفات المجرات عليه وتميزه بها عن غيره، لأن ذلك الضمير راجع إلى ذاته بمقتضى وصفه وليس فيه ملاحظة لصفاته وإن كان متصفاً بها، فالحكم متعلق بالذات، فلا يفهم منه سببه عرفاً، وإذا قيل (إياك) بدل (إياه) فقد نزل الغائب بواسطة أوصافه المذكورة الموجبة لتميزه وانكشافه حتى صار كأنه يتبدل خفاء غيبته بجلاء حضوره منزلة المخاطب في التميز والظهور، ثم أطلق عليه ما هو موضوع للمخاطب، ففي إطلاقه عليه ملاحظة لأوصافه التي جعلته كالمخاطب، فصار الحكم مرتباً على الوصف المناسب بمنزلة أن يُقال أيها الموصوف المتميز (نعبدك ونستعينك) فيتبادر منه في المتعارف أن العبادة والاستعانة لتميزه بتلك الصفات ونظير (إياك) هنا اسم إشارة في قوله تعالى:﴿ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [٤٥] وأطلقت الاستعانة لتبادل كل مُستعان فيه والأحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة[٤٦].

أما الزمخشري، ففي (إياك) له قولٌ: (أنها مفعول مقدم ويزعم إنه لا يقدم على العامل، إلاّ للتخصيص، فكأنه قال (ما نعبد إلاّ إياك) والتقديم هنا إذن للاعتناء والاهتمام بالمفعول. وقراءة من قرأ (إياك يَعبد) بالياء مبنياً للمفعول، مشكلة، لأن (إياك) ضمير ناصب له وتوجيهها إن فيها استعارة والتفاتاً فالاستعارة إحلال الضمير المنصوب موضع الضمير المرفوع، فكأنه قال

أنت، ثم التفت فأخبر عنه إخبار الغائب لما كان (إياك) هو الغائب من حيث المعنى، فقال (يعبد))[٤٧]، ومن ذلك الالتفات استشهاد أبي حيان بقول الشاعر:

أأنت الهلالي الذي كُنت مرةً سمعنا به والأرحبيُّ المُغلَّب

فإن قُلتَ لما عدل عن الغيبةِ إلى الخطاب ؟ جاءك جواب،هذا ما يُسمّى بـ (الالتفات) في علم البيان، فقد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم [٤٨]، كقوله تعالى:﴿ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [٤٩]. وقوله تعالى:﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ﴾[٥٠]

وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاث أبيات، حين قال:

تطاولَ ليلكَ بالأثمدِ ونام الخليُّ ولم ترقُدِ

وبات وباتت له ليلةٌ كليلة ذي العاثر الأرمدِ

وذلك من نبإٍ جاءَني وأنبِئْتهُ عن أبي الأسودِ [٥١]

والغاية البلاغية من هذا الافتنان بالكلام والتصرف فيه لتطرية نشاط السامع وإيقاظه للإصغاء، ومن خلال ذلك نخرج إلى شيء مفاده أن (إياكَ نعبدُ) من الناحية اللغوية تدلّ على "الحصر" لأنه قدم إياك على نعبدُ ولم يقل " نعبدك" لأنه قدم ذكر نفسه ليتنبه العابد على أن المعبود هو الله فلا يتكاسل في التعظيم، ولتسهل على العبد العبادات. ففي (إياك) تقوية على حمل ثقل العبودية، فإذا قلت – مثلاً – (نعبدك) فبدأت أولاً بذكر عبادة نفسك ولم تذكر أن تلك العبادة لمن ؟! فيحتمل كون هذه العبادة لأي شيء، فالفعل (إياك نعبد) أبعد عن احتمال الشرك؛ أما لو قال (إياك أعبد) لكان ذلك تكبراً ومعناه أنا العابد، أما في نعبد تعني أنا واحد من عبيدك فيها تواضع [٥٢].

وهناك مسألة بلاغية أخرى في تقديم المفعول به (إياك) على فعل العبادة وعلى فعل الاستعانة دون الهداية، وهي أن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها، فإن قلتَ: لمَ أطلقت الاستعانة ؟ قُلنا: ليتناول كل مستعان فيه والأحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة. ففي قوله (أهدنا) بياناً للمطلوب من المعونة، أي لم يقلْ (إيانا أهْدِ)

لأن العبادة والاستعانة مختصتان بالله سبحانه وتعالى، فلا يُعبد ولا يُستعانُ إلاّ بهِ، وبهذا القصد الدقيق قمة البلاغة.

المطلب السابع

أهدنا الصراط المستقيم

وتعني (دلّنا يا ربّ إلى طريقك الحق ودينك المستقيم، والثبات على المنهاج الواضح)[٥٣]. وسنوجز المسائل اللغوية والبلاغية معاً، ففي (هدىً) يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد وأما التعدية إلى مفعول آخر فقد جاء متعدياً إليه بنفسه كهذه الآية، وجاء متعدياً باللام وبإلى كقوله تعالى:﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [٥٤] وقوله تعالى:﴿ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٥٥].

و(السراط) الجادة من سرط الشيء إذا ابتلعه [٥٦]، و(الصراط) من قَلِبَ السين صاداً * لتجانس الطاء في الإطباق كقوله (مصيطر) في (مسيطر) [٥٧].

وبالتالي يكون (أهدنا) بياناً للمطلوب من المعونة –كما ذُكِر –كأنه قيل كيف أعينُكم ؟، فقالوا أهدنا الصراط المستقيم، وتعني " ثبِّتنا" وصيغة الأمر والدعاء واحدة لأن كل واحدةٍ منهما طلب ولكنهما يتفاوتان في الرتبة [٥٨].

يُستشفُ من ذلك أن (الصاد) أفصح من حرفي (الزاي والسين) وهي من فصاحة العرب، لذلك وردت بالصاد في القرآن الكريم ويبدو أنها أقوى وأشدّ من السين.

و(الصراط) يُذكّر ويؤنّث وتذكيره أكثر، وقيل أهل الحجاز يؤنثون الصراط كالطريق وبنو تميم يذكرون هذا لأنه يعني – طريق الحق – وفي القلة قياسه "أسرطة" والكثرة " سراط" هذا إن كان مذكراً، أما إن كان مؤنثاً فقياسه (أفعل) نحو: ذراع – أذرع. أما (المستقيم) استقام استفعل بمعنى الفعل المجرد من الزوائد وهو أحد معاني استفعل وهو (قام) والقيام هو " الانتصاب والاستواء " من غير اعوجاج [٥٩].

المطلب الثامن

صراط الذين أنعمتَ عليهم

وتعني طريق من تفضلت عليهم بالجود والإنعام من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقا[٦٠].

و(صراط الذين أنعمت عليهم) بدل من الصراط، كأنه قيل: أهدنا الصراط المستقيم أهدنا صراط الذين أنعمت عليهم، أي أنه جاء للتأكيد والإشعار بأن الصراط المستقيم تفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة[٦١]. وقيل: (فائدة ذلك التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وأكده، كما تقول: هل أدلك على فلان الأكرم والأفضل، لأنك تثبت ذِكره مجملاً أولاً ومفصلاً ثانياً)[٦٢].

أما الهمزة في (أنعمَ) يجعل الشيء صاحب ما صيغ منه إلاّ أنه ضمن معنى التفضيل مُعدّى بعلى، وأصله التعدية بنفسه. أنعمته أي جعلته صاحت نعمة، وهذه أحد المعاني التي (لأفعل) وهي في الأصل أربعة وعشرين* معنىً هذا أحدها وهو ما يخص البحث.

هذا وإنّ (صراطٌ مستقيم صراط الله) بدل معرفة من معرفة و(صراط الذين) بدل معرفة من نكرة، وعلى العموم ينظر إليها بعينٍ واحدة وجيء بها للبيان لأنه لما ذكر قبل أهدنا الصراط المستقيم كان فيه إبهام فعينّهُ بقوله (صراط الذين) ليكون المسؤول عن الهداية إليه وقد جرى ذكره مرتين فصار بذلك البدل فيه حوالة على الطريق من أنعم الله عليهم، فيكون ذلك أثبت وأوكد [٦٣]. وهنا نقطة التقاء العقل والدين.

المطلب التاسع

غير المغضوب عليهم ولا الضالين

بدءاً يجب فهم من هم المغضوب عليهم ومن هم الضالين مستندين إلى هذا الفهم من أجل توضيح الدلالات اللغوية والبلاغية لهذه الآية.

ماذا قيل فيهم ؟ إن (المغضوب عليهم هم اليهود لقوله عزّوجلّ: من لعنه الله وغضب عليه، والضالون هم النصارى لقوله تعالى: قد ضلّوا من قبل، فإن قلتَ: ما معنى غضب الله ؟ قلتُ: هو إرادة الانتقام من العصاة وإنزال العقوبة بهم) [٦٤]. ولو أمعنّا النظر فيها لوجدنا أن جملة " غير المغضوب عليهم " بدل من " الذين أنعمت عليهم " يعني أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال صفة (للذين) أي إنهم جمعوا بين النعمة المطلقة ونعمة الإيمان، فساغ وقوعه صفة للذين وهو معرفة.

أما (غير) لا يتعرف بالإضافة لأنه إذا وقع بين متضادين وكانا معرفتين تعرّف بالإضافة، مثل ذلك قولنا: عجبت من الحركة غير السكون، والمنعم عليهم والمغضوب متضادان[٦٥].

كل ذلك يصح بتأويل إجراء الموصول مجرى النكرة، أما ابن كثير فنصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل أنعمت، فإذا أسند إلى الله تعالى أريد به المنتهى والغاية على ما مرّ[٦٦].

ويجب لفت النظر إلى (غير) فهي (مفرد مذكر دائماً وإذا أريد به المؤنث جاز تذكير الفعل حملاً على اللفظ، وتأنيثه حملاً على المعنى ومدلوله المخالفة بوجهٍ ما، وأصله الوصف ويستثنى به ويلزم الإضافة لفظاً أو معنىً وإدخال أل عليه خطأ ولا يتعرف وإن أضيف إلى المعرفة)[٦٧]. فإن قلتَ: كيف صحَّ أن يقع "غير" صفة للمعرفة، وهو لا يتعرف وإن أضيف إلى المعارف ؟ قلتُ: الذين أنعمتَ عليهم لا توقيت فيه، بل هو منعم عليه في كل وقت، كقول الشاعر:

ولقد أمرَّ على اللئيم يسبني فمضيتُ ثمتَّ قلتُ لا يعنيني [٦٨]

ولأن المغضوب عليهم والضالّين خلاف المنعم عليهم، فليس في "غير" إذن الإيهام الذي يأبى عليه أن يتعرف. وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله ﴿ﷺ﴾وعمر بن الخطاب (ﷺ).

وإن سأل سائل: أي فرق بين (عليهم) الأولى و (عليهم) الثانية في (أنعمت عليهم) و (غير المغضوب عليهم) ؟ قلتُ: الأولى محلها النصب على المفعولية، والثانية محلها الرفع

على الفاعلية، والتقدير هنا " غير من غضب عليهم" إذ سدّت مسدّ نائب الفاعل لاسم المفعول [٦٩].

أما مسألة دخول (لا) في " ولا الضالين" ذلك لما في "غير" من معنى النفي،كأنه قيل: (لا المغضوب عليهم ولا الضالين) وتقول: أنا زيداً غير ضارب، مع امتناع قول: أنا زيداً مثل ضارب لأنه بمنزلة قولنا: أنا زيداً لا ضارب [٧٠].

ويحكى في ذلك أن (لا) حرف دخلت لتأكيد معنى النفي الذي تدل عليه (غير) بحيث أشعر أن الضالين* هم غير المغضوب عليهم وإن كانا قد اشتركا في الغضب والضلال. ولتقارب معنى (غير ولا) أجاز الزمخشري (أنا زيد غير ضارب) كما أجاز (أنا زيد لا ضارب)؛ فأوردهما مورد الوفاق [٧١].

المطلب العاشر

آمين

صوت سميّ به الفعل الذي هو استجب مثلها مثل (رويد، وحيهل، وهلُّم) وهي أصوات سميت بها الأفعال التي هي: أمهل، أسرع، أقبل. وقد سُئِلَ الرسول(ﷺ)عن معنى "آمين" فقال: أفعَل، وفيها لغتان: مدّ الألف على وزن " فاعيل " والمدّ يكون بإشباع الهمزة[٧٢]. وقد استشهد الزمخشري بالبيت الشعري القائل [٧٣]:

تباعد عنيّ فطحل [٧٤] إذ دعوتَهُ آمين فزاد الله ما بيننا بُعدا

وقصر الألف – وهو الأصل –، مثل ذلك قول الشاعر:

يا ربّ لا تسلبني حبها أبداً ويرحم الله عبداً قال آمينا [٧٥]

وعن النبي محمد (ﷺ)أنه قال في عن " آمين": ((إنَّه كالختم على الكتاب وليس من القرآن))[٧٦].

واختار هذا اللفظ إما لقرب أسماء الأفعال من الأصوات وإما لأنهم يعبرون عن أسماء لا يُعرف لها تصرف واشتقاق بالصوت كأنها لقصورها عن مرتبة أخواتها، انحطت درجتها عن

درجة الاسمية، بل عن اللفظية واستحقت أن يعبر عنها بالصوت الذي هو أعم؛ لذلك سميت بأسماء الأفعال.

وقال بعض النحويين أنها في الحقيقة أسماء للمصادر السادّة مسدّ أفعالها و (صه) معناه سكوتك بالنصب، فهي بمعنى المصادر لا الأفعال. كذلك عندما نقول (استجب) صيغة أمر، وبذلك صحّ أن تكون أسماء، وإن استفدنا منها ضمن معاني الأفعال، لأن مدلولاتها التي وضعت لها هي ألفاظ، ولم يعتبر معها اقترانها بزمانٍ. وأما المعاني المقترنة بالزمان صراحةً فهي مدلولة لتلك الألفاظ فتنتقل من الأسماء التي بواسطتها وهذا تأويل مناسب لتسميتها بأسماء الأفعال.

الخاتمة

﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ (٧٧). لا يختلف اثنان في أن التعبير القرآني تعبير معجز ﴿قل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾. (٧٨).

من خلال هذا البحث تكشفت لنا الجوانب اللغوية والجوانب البلاغية المتعلقة بالفاتحة، ففيها من أنواع الفصاحة (٧٩) والبلاغة نوجز أهمها ليكن حسن ختام البحث، وهي:

حسن الافتتاح وبراعة المطلع، والمبالغة في الثناء لإفادة " أل" الاستغراق، وتلوين الخطاب إذ صيغتهُ الخبر ومعناه قولوا (الحمد لله)، والاختصاص في قوله (لله)، والحذف كحذف (صراط) من قوله (غير المغضوب عليهم) تقديره غير (صراط المغضوب عليهم) وغير (صراط الضالين)، والتقديم والتأخير في (إياك نعبد)، والتصريح بعد الإبهام (الصراط المستقيم)، ثم فسره بقوله (صراط الذين أنعمت إليهم) والالتفات في (إياك نعبد وإياك نستعين)، وطلب الشيء به دوامه واستمراره في (أهدنا الصراط) أي ثبتنا عليه، والسجع المتوازي في قوله (الرحمن الرحيم) (الصراط المستقيم)، (نستعين، ضالين) وسرد الصفات لبيان خصوصيته في الموصوف أو المدح أو الذم.

وفي هذه السورة شرع في بيان درجات المكاشفات، وهي حصولها أي حصول هداية النور في القلب عند قوله (أهدنا السراط المستقيم) ويتجلى له درجات الأبرار المطهرين من الذين أنعم عليهم الله بالجلايا القدسية والجواذب الإلهية، وفي قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) وأن تبقى مصونة معصومة عن الشهوات وهو قوله (غير المغضوب عليهم) وعن أوزار الشبهات (ولا الضالين) هذه هي الأسرار العالية التي هي أشرف المطالب، لذا سميت بـ (أم القرآن) كما أن الدماغ يسمى أم الرأس لاشتماله على جميع الحواس والمنافع.

هذا وقد اتبعنا المنهج التحليلي في رصد البنى والتراكيب لغةً وأسلوباً، لأن تركيب الكلمات هو الذي يعطي لكل جزئية أهميتها في السياق، وهو أمر لم ينتبه إليه الكثيرون بشكل مباشر، فالسياق لا يعتبر اللفظة هي نقطة البداية، بل العكس صحيح، إذ لا يوجد كيان للتعبير إلاّ من خلاله، لذا رصدنا النسق من خلال البحث عن التركيب اللغوي للفظة واتساق التراكيب مع بعض بلاغياً.

ويحب التنويه إلى أن دلالة اللفظ لا تتحكم بها الفاصلة، كما تحكمت بها المعاني واقتضاها البُعد البياني في استيعاب المرادف بوجوهه المختلفة، وذلك من دلائل الإعجاز القرآني في جمعه بين الصيغة الجمالية للشكل والدلالة الإيجابية في المعنى.

الهوامش

(١) ينظر - مختصر تفسير الميزان الطباطبائي، ط٣، ٢٠٠٥م، ص 70.

(2) حديث موضوع ذكر في كشف الخفاء: ٢٥٦/١.

(3) صحيح البخاري: ٧١٠، ٢١٥٦، صحيح مسلم: ٣٩٥، ٣٩٩.

(4) ينظر: التفسير الكبير، الرازي: ١٨/١.

(5) التفسير الكبير: ١٧/١ (طبعة بيروت، ٢٠٠٠م).

(6) ينظر: الكشاف: ١١/١ – ١٢.

(7) البيت للفرزدق وقيل لغيره، وهو على لسان الجن، أي قلت: هيا إلى الطعام، فقال فريق من الجن: ذلك ليس لنا، وإنما هو للإنس، ومما نحسدهم عليه، والشاهد فيه حذف الفعل أي (أدعوكم)، راجع الكشاف: ١٢/١.

(8) صحيح ابن حبّان: مج ١، ج١ / ١٧١، سنن النسائي: ١٠٣٢٨، سنن ابن ماجة: ١٨٩٤.

(٩) ينظر: الكشاف: ١٢/١.

(10) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١٢.

(١١) ينظر: الكشاف: ١/ ١٢.

(12) سورة الأنعام: الآية ٣ .

(13) ينظر: الكشاف: ١/ ١٣.

(14) ينظر: تفسير البيضاوي: ١٠/١.

(15) ينظر: تفسير البيضاوي: ١١/١– ١٩، وينظر: الكشاف: ١/ ١٤.

(16) ينظر: تفسير البحر المحيط: ١٨/١.

(17) في البيت يذكر الشاعر أثر النعمة فيه، وما ملكت من يده ولسانه وضميره، والشاهد فيه أن الشكر يكون بها جميعاً. الكشاف: ١/ ١٦.

(18) ينظر – تفسير البيضاوي: ٢١/١، وينظر: الكشاف: ١/ ٣٨، وينظر: تفسير القرآن الجليل – ٣/١.

(19) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب (فإن تابوا...): ٣٨٥.

(20) ينظر - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١/ ١٨.

(21) البحر المحيط: ١٨/١.

(22) ينظر – التفسير الكبير: ١/ .١٨٠

(23) راجع –معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم: .

(24) صفوان: هو صفوان بن أمية. كان من أعدى أعداء الإسلام؛ وقد اتفق هو وعمير بن وهب الجمحي على قتل الرسول ﴿ ﷺ ﴾ وقدم عمير إلى المدينة لينفذّ الجريمة، ولكن

انكشف أمره فندم وأسلم. وظل صفوان على شركه حتى شفع فيه عمير عند الرسول الأعظم ﴿ ﷺ ﴾ فعفا عنه، وأسلم. الكشاف: ١/ ١٧.

(25) ينظر – تفسير القرآن الكريم، النسفي: ٣/١.

(26) ينظر – تفسير البيضاوي: ٤٥/١.

(27) ينظر – البحر المحيط: ١٩/١.

(28) ينظر: البحر المحيط: ١٩/١.

(29) صفوة التفاسير: ١٠/١.

(٣٠) ينظر – الكشاف: ١٦/١ – ١٧.

(31) ينظر – تفسير البيضاوي: ٢٧/١.

(32) ينظر – الكشاف: ١٦/١–١٧.

(33) سورة الانفطار: الآية ١٩.

(34) ينظر: صفوة التفاسير: ٢٥/١، وينظر: البحر المحيط: ٢١/١.

(35) ينظر: تفسير البيضاوي: ٢٨/١.

(36) يذكر الشاعر أنهم جزوا أعدائهم بمثل فعلهم، والشاهد فيه: (دناهم، دانوا) واستعمالها في الجزاء. ينظر: الكشاف: ١٨./١

(37) سورة الأعراف: الآية ٤٤.

(38) سورة الأعراف، الآية ٤٨.

(39) ينظر: الكشاف: ١٨./١

(40) ينظر: تفسير البحر المحيط: ٢١/١.

(41) المصدر نفسه: ٢١/١.

(42) صفوة التفاسير: ١٠./١

(43) موضع الشذوذ ما ألحقت به (إيا) من اسم ظاهر، هو لفظة الشواب، وهي وأخواتها إنما تلحق بحروف لبيان الخطاب والغيبة والتكلم. راجع: الكشاف: ١٩./١

(44) تفسير البيضاوي: ٣١/١.

(45) سورة البقرة: الآية ٥.

(46) ينظر: الكشاف: ٤٨/١ (طبعة بيروت).

(47) البحر المحيط: ٢٣./١

(48) ينظر: الكشاف: ١٩/١، وينظر: تفسير القرآن الكريم: ٥/١.

(49) سورة يونس: الاية ٢٢

(50)سورة فاطر: الآية ٩.

(51) ديوانه: ١٨٥.

يتحدث الشاعر هنا عن ليلة حزينة له بعين الاثمد حُرِمَ فيها الرقاد وتقرحت فيها عيناه كمن أصابه الرمد واشتد به الألم،وذلك لما خبر به من نبأ أليم لعله مقتل أبيه على يد بني أسد. والشاهد ينتقل الشاعر هنا من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم وهذا هو الالتفات بصوره المتعددة. الكشاف: ٦٣/١– ٦٤.

(52) ينظر – التفسير الكبير: ٢٥٠/١– ٢٥١.

(53) صفوة التفاسير: ١٠/١ .

(54) سورة الإسراء: ٩.

(55) سورة الشورى: ٥٢.

(56) وشاهد ذلك قول الشاعر: شحنّا أرضهم بالخيل حتى تركناهم أذلّ من السراط

(*) تقلب السين صاداً كي تتجانس مع الطاء في الإطباق، لأن الصاد والضاد والطاء من حروف الإطباق وأفصح قراءة هي إخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في المصحف الإمام – مصحف عثمان (ﷺ). راجع الكشاف – ٢١/١، وينظر تفسير القرآن الجليل – ٥/١، وينظر – تفسير البحر المحيط: ٢٥./١

(57) ينظر – تفسير القرآن الجليل: ٥./١

(58) ينظر – الكشاف: ٢١/١، وينظر– التفسير الكبير: ٣٤/١.

(59) ينظر: تفسير البحر المحيط: ٢٦/١.

(60) ينظر– صفوة التفاسير: ١٠./١

(61) ينظر – تفسير القرآن الجليل: ٥/١، وينظر –الكشاف: ٢١./١

(62) الكشاف: ٢١/١.

(*) ومنها التعدية والكثرة والصيرورة والإعانة والتعريض والسلب وإصابة الشيء بمعنى ما صيغ منه وبلوغ عدد أو زمان أو مكان وموافقة ثلاثي واغناء عنه ومطاوعة فعل والهجوم ونفي الغريزة والتسمية والدعاء والاستحقاق والوصول والاستقبال والمجيء بالشيء والتفرقة. راجع – البحر المحيط: ٢٦/١.

(63) ينظر – تفسير القرآن الجليل: ٥/١، وينظر: الكشاف: ٢١/١.

(64) الكشاف (طبعة بيروت): ٧١/١.

(65) ينظر– تفسير القرآن الجليل: ٦/١.

(٦٦) ينظر – التفسير الكبير: ٣٨/١.

(٦٧) البحر المحيط: ٢٨/١.

(68) الشاهد في هذا البيت هو: لأي لئيم، ولا تعيين به للئيم بذاته. راجع: الكشاف: ٢٢/١.

(69) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢/١.

(70) ينظر: التفسير الكبير: ٤٠/١، وينظر: تفسير القرآن الجليل: ٦/١.

(*) الأصل في (ولا الضالين) الضاللين، حذفت حركة اللام الأولى ثم أدغمت في اللام فاجتمع ساكنان مدّ الألف واللام المدغمة. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨٩/١.

(71) ينظر: الكشاف: ٢٢/١– ٢٣.

(72) ينظر: الكشاف: ٢٣/١.

(73) روي أن هذا البيت هو لقيس بن الملوح.

(74) (فطحل) بوزن جعفر وهو صاحبٌ له هجرة وتخلى عنه. والشاهد فيه (آمين) بغير المدّ. ينظر: المصدر نفسه: ٢٣/١.

(75) وروي أن هذا البيت لابن الملوح أيضاً وقد قال هذا البيت وهو يتعلق بأستار الكعبة بعد أن قيل له أدعُ ربك أن يسلبك حبها. ينظر: المصدر نفسه: ٢٣/١.

(76) تخريج الأحاديث والآثار: ٢٧/١، الفتح السماوي: ١٠٧/١.

(77) سورة الكهف: الآية ١.

(78) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(79) راجع صفوة التفاسير: ١/٢٦- ٢٧.

قائمة المصادر

١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل " تفسير البيضاوي"، تأليف: ناصر الدين السعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي. وبهامشه – حاشية العلامة – أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب، ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

٢- البحر المحيط، تأليف: أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الحياني الشهير بأبي حيان المولود سنة ٦٥٤هـ، ومتوفي في القاهرة سنة ٧٥٤هـ، ج١، د. ت.

٣- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تأليف: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤١٤هـ، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط١، د. ت.

٤- تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، تأليف: الإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ج١، د. ت.

٥- تفسير القرآن العظيم، تأليف: الإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، توفي سنة ٧٧٤هـ، كتب هوامشه وضبطه: حسين بن إبراهيم زهران، دار الكتب، بيروت، ط١، د. ت.

٦- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين محمد المشتهر بالفخر الرازي، ولد سنة ٥٤٤هـ، وتوفي سنة ٦٠٤هـ، ج١، د. ت.

٧- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، ط٣، مصورة عن الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م.

٨- الدر المنثور للعلامة جلال الدين السيوطي، طبعة مصر، ١٩١١، ج١.

٩- ديوان امرؤ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨٤م.

١٠- سنن ابن ماجة.

١١- سنن النسائي.

١٢- صحيح ابن حبّان، بترتيب ابن بلبان، تأليف: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ٧٣٩هـ، حققه وخرج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مج١، ج١، ط٣، بيروت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

١٣- صحيح البخاري، الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبة البخاري الجُعفّي ت سنة ٢٥٦هـ، طبعة جديدة كاملة في مجلد واحد مشكولة ومرقمة الكتب والأبواب والأحاديث، ضبط النص: محمود محمد محمود حسن نصّار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

١٤- صفوة التفاسير، تأليف: محمد علي الصابوني، دار القلم، بيروت – لبنان، ط٥، ج١، ١٩٧٦م.

١٥- الفتح السماوي، تأليف: محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن القاضي تاج الدين أبو عبد الله بن الشيخ بهاء الدين السلمي المصري المناوي، تحقيق: أحمد مجتبى، دار النصر، دار العاصمة – الرياض.

١٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، مكتبة مصر للطباعة، ج١، د. ت.

١٧- معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم، قدم له مفتي الديار المصرية، د. محمد سيد طنطاوي وراجعه الشيخ محمد فهيم أبو عبيدة، مكتبة لبنان – بيروت، سنة ١٩٩٤م.

١٨- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بحاشية المصحف الشريف، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، منشورات ذوي القربى، ط١، ١٤٢١هـ – ١٣٧٩م.

هوامش البحث

(١) ينظر - مختصر تفسير الميزان الطباطبائي، ط٣، ٢٠٠٥م، ص70.

(٢) حديث موضوع ذكر في كشف الخفاء: ٢٥٦/١.

(٣) صحيح البخاري: ٧١٠، ٢١٥٦، صحيح مسلم: ٣٩٥، ٣٩٩.

(٤) ينظر: التفسير الكبير، الرازي: ١٨/١.

(٥) التفسير الكبير: ١٧/١ (طبعة بيروت، ٢٠٠٠م).

(٦) ينظر: الكشاف: ١١/١ – ١٢.

(٧) البيت للفرزدق وقيل لغيره، وهو على لسان الجن، أي قلت: هيا إلى الطعام، فقال فريق من الجن: ذلك ليس لنا، وإنما هو للإنس، ومما نحسدهم عليه، والشاهد فيه حذف الفعل أي (أدعوكم)، راجع الكشاف: ١٢/١.

(٨) صحيح ابن حبّان: مج ١، ج١ / ١٧١، سنن النسائي: ١٠٣٢٨، سنن ابن ماجة: ١٨٩٤.

(٩) ينظر: الكشاف: ١٢/١.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١٢.

(١١) ينظر: الكشاف: ١/ ١٢.

(١٢) سورة الأنعام: الآية ٣ .

(١٣) ينظر: الكشاف: ١/ ١٣.

(١٤) ينظر: تفسير البيضاوي: ١٠/١.

(١٥) ينظر: تفسير البيضاوي: ١١/١– ١٩، وينظر: الكشاف: ١/ ١٤.

(١٦) ينظر: تفسير البحر المحيط: ١٨/١.

(١٧) في البيت يذكر الشاعر أثر النعمة فيه، وما ملكت من يده ولسانه وضميره، والشاهد فيه أن الشكر يكون بها جميعاً. الكشاف: ١/ ١٦.

(١٨) ينظر – تفسير البيضاوي: ٢١/١، وينظر: الكشاف: ١/ ٣٨، وينظر: تفسير القرآن الجليل – ٣/١.

(١٩) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب (فإن تابوا...): ٣٨٥.

(٢٠) ينظر - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١/ ١٨.

(٢١) البحر المحيط: ١٨/١.

(٢٢) ينظر – التفسير الكبير: ١/ ١٨٠.

(٢٣) راجع –معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم: .

(٢٤) صفوان: هو صفوان بن أمية. كان من أعدى أعداء الإسلام؛ وقد اتفق هو وعمير بن وهب الجمحي على قتل الرسول ﴿ ﷺ ﴾ وقدم عمير إلى المدينة لينفذّ الجريمة، ولكن انكشف أمره فندم وأسلم. وظل صفوان على شركه حتى شفع فيه عمير عند الرسول الأعظم ﴿ ﷺ ﴾ فعفا عنه، وأسلم. الكشاف: ١/ ١٧.

(٢٥) ينظر – تفسير القرآن الكريم، النسفي: ٣/١.

(٢٦) ينظر – تفسير البيضاوي: ٤٥/١.

(٢٧) ينظر – البحر المحيط: ١٩/١.

(٢٨) ينظر: البحر المحيط: ١٩/١.

(٢٩) صفوة التفاسير: ١٠/١.

(٣٠) ينظر – الكشاف: ١٦/١ – ١٧.

(٣١) ينظر – تفسير البيضاوي: ٢٧/١.

(٣٢) ينظر – الكشاف: ١٦/١–١٧.

(٣٣) سورة الانفطار: الآية ١٩.

(٣٤) ينظر: صفوة التفاسير: ٢٥/١، وينظر: البحر المحيط: ٢١/١.

(٣٥) ينظر: تفسير البيضاوي: ٢٨/١.

(٣٦) يذكر الشاعر أنهم جزوا أعدائهم بمثل فعلهم، والشاهد فيه: (دناهم، دانوا) واستعمالها في الجزاء. ينظر: الكشاف: ١٨/١.

(٣٧) سورة الأعراف: الآية ٤٤.

(٣٨) سورة الأعراف، الآية ٤٨.

(٣٩) ينظر: الكشاف: ١٨/١.

(٤٠) ينظر: تفسير البحر المحيط: ٢١/١.

(٤١) المصدر نفسه: ٢١/١.

(٤٢) صفوة التفاسير: ١٠/١.

(٤٣) موضع الشذوذ ما ألحقت به (إيا) من اسم ظاهر، هو لفظة الشواب، وهي وأخواتها إنما تلحق بحروف لبيان الخطاب والغيبة والتكلم. راجع: الكشاف: ١٩/١.

(٤٤) تفسير البيضاوي: ٣١/١.

(٤٥) سورة البقرة: الآية ٥.

(٤٦) ينظر: الكشاف: ٤٨/١ (طبعة بيروت).

(٤٧) البحر المحيط: ٢٣/١.

(٤٨) ينظر: الكشاف: ١٩/١، وينظر: تفسير القرآن الكريم: ٥/١.

(٤٩) سورة يونس: الاية ٢٢

(٥٠) سورة فاطر: الآية ٩.

(٥١) ديوانه: ١٨٥.

يتحدث الشاعر هنا عن ليلة حزينة له بعين الاثمد حُرِمَ فيها الرقاد وتقرحت فيها عيناه كمن أصابه الرمد واشتد به الألم،وذلك لما خبر به من نبأ أليم لعله مقتل أبيه على يد بني أسد. والشاهد ينتقل الشاعر هنا من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم وهذا هو الالتفات بصوره المتعددة. الكشاف: ٦٣/١– ٦٤.

(٥٢) ينظر – التفسير الكبير: ٢٥٠/١– ٢٥١.

(٥٣) صفوة التفاسير: ١٠/١ .

(٥٤) سورة الإسراء: ٩.

(٥٥) سورة الشورى: ٥٢.

(٥٦) وشاهد ذلك قول الشاعر:

شحنّا أرضهم بالخيل حتى تركناهم أذلّ من السراط

(*) تقلب السين صاداً كي تتجانس مع الطاء في الإطباق، لأن الصاد والضاد والطاء من حروف الإطباق وأفصح قراءة هي إخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في المصحف الإمام – مصحف عثمان (ﷺ). راجع الكشاف – ٢١/١، وينظر تفسير القرآن الجليل – ٥/١، وينظر – تفسير البحر المحيط: ٢٥/١.

(٥٧) ينظر – تفسير القرآن الجليل: ٥/١.

(٥٨) ينظر – الكشاف: ٢١/١، وينظر– التفسير الكبير: ٣٤/١.

(٥٩) ينظر: تفسير البحر المحيط: ٢٦/١.

(٦٠) ينظر– صفوة التفاسير: ١٠/١.

(٦١) ينظر – تفسير القرآن الجليل: ٥/١، وينظر –الكشاف: ٢١/١.

(٦٢) الكشاف: ٢١/١.

(*) ومنها التعدية والكثرة والصيرورة والإعانة والتعريض والسلب وإصابة الشيء بمعنى ما صيغ منه وبلوغ عدد أو زمان أو مكان وموافقة ثلاثي واغناء عنه ومطاوعة فعل والهجوم ونفي الغريزة والتسمية والدعاء والاستحقاق والوصول والاستقبال والمجيء بالشيء والتفرقة. راجع – البحر المحيط: ٢٦/١.

(٦٣) ينظر – تفسير القرآن الجليل: ٥/١، وينظر: الكشاف: ٢١/١.

(٦٤) الكشاف (طبعة بيروت): ٧١/١.

(٦٥) ينظر– تفسير القرآن الجليل: ٦/١.

(٦٦) ينظر – التفسير الكبير: ٣٨/١.

(٦٧) البحر المحيط: ٢٨/١.

(٦٨) الشاهد في هذا البيت هو: لأي لئيم، ولا تعيين به للئيم بذاته. راجع: الكشاف: ٢٢/١.

(٦٩) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢/١.

(٧٠) ينظر: التفسير الكبير: ٤٠/١، وينظر: تفسير القرآن الجليل: ٦/١.

(*) الأصل في (ولا الضالين) الضاللين، حذفت حركة اللام الأولى ثم أدغمت في اللام فاجتمع ساكنان مدّ الألف واللام المدغمة. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨٩/١.

(٧١) ينظر: الكشاف: ٢٢/١– ٢٣.

(٧٢) ينظر: الكشاف: ٢٣/١.

(٧٣) روي أن هذا البيت هو لقيس بن الملوح.

(٧٤) (فطحل) بوزن جعفر وهو صاحبٌ له هجرة وتخلى عنه. والشاهد فيه (آمين) بغير المدّ. ينظر: المصدر نفسه: ٢٣/١.

(٧٥) وروي أن هذا البيت لابن الملوح أيضاً وقد قال هذا البيت وهو يتعلق بأستار الكعبة بعد أن قيل له أدعُ ربك أن يسلبك حبها. ينظر: المصدر نفسه: ٢٣/١.

(٧٦) تخريج الأحاديث والآثار: ٢٧/١، الفتح السماوي: ١٠٧/١.

(٧٧) سورة الكهف: الآية ١.

(٧٨) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(٧٩) راجع صفوة التفاسير: ٢٦/١– ٢٧.